جدلية الظمأ والارتواء

سرديات الـــماء

هيثم سرحان

الأردن

يــُعدُّ الماءُ مــُكوِّناً أساسياً في حياة الإنسان واستقراره وشرطاً من شروط الوجود الضرورية التي تقتضي العيش والنَّماء، وسببٌ رئيسي في ديمومة الحياة واستمرارها. ولهذا السبب كان الماء عاملاً مؤثراً في نشأة المجتمعات، وقيام الحضارات التي كانت تتخذ موقعها و مكانها قريباً من الأنهار الكبرى الدائمة الجريان، وحول عيون الماء والينابيع و مساقط الأمطار الوفيرة، وذلك لما تمنحه هذه الخصائص من عوامل بناء ورخاء، الأمر الذي يعني أنَّ الماء يُمثِّل رمزاً من رموز المنعة والقوة والثبوت والخصوبة فكلَّما توافرت الشعوب على مصادر مائية غنية كانت حظوظها في الاستقرار والصمود وإنتاج القيم الحضارية أكثر(1). ولهذا السبب عاشت الشعوب، ولا تزال، صراعاتٍ حادةً نتيجة رغبتها في السيطرة على المياه ومصادره(2).

كما أنَّ للماء دلالاتٍ تختلف باختلاف الثقافات، والديانات، والعقائد، والأساطير المتعددة؛ فهو:

" شكل التجلي الأولي ... وهو مصدر الحياة والخصب والطهارة والجذب الجنسي والتجدد الجسدي والروحي والحكمة والمعرفة والخلود والسلام والبعث".(3)

أما الثقافة العربية فقد أرست، شأنها شأن بقية الثقافات، دلالات، ومفاهيم تصور حضور الماء ورموزه المتنوعة في الممارسات الحياتية كافة؛ فقد احتل الماء مساحة واسعة في كلام العرب، وأشعارهم،وأمثالهم، وسيرهم، وكناياتهم الدالة. ومما يدل على أهمية حضوره في وجدانهم أنّهم قرنوه بالكرم في قولهم للكريم: " أنت بحر"، والحرب في قولهم: "الحرب سجال"، والغدر عندما قرنوه بالسيل(4). كما كان انقطاع المطر عن الناس وتأخر هطوله يُنذرُ بالبلاء والمِحن، فيأخذ الناس باستمطار السماء بوساطة نار تــُسمَّى نار الاستمطار. وقد تحدَّث الجاحظ عنها قائلاً:

" ونارٌ أخرى، وهي النار التي يستمطرون بها في الجاهلية الأولى: فإنَّهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات ورَكَدَ عليهم البلاء، واشتدَّ الجدب، واحتاجوا إلى الاستمطار، اجتمعوا وجمعوا ما قَدَرَوا عليه

من البَقَرِ ثمَّ عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها، السَّلَعَ والعُشَرَ ، ثُمَّ صَعدوا بها في جبلٍ وعرٍ، وأشعلوا فيها النيران، وضجّوا بالدعاء والتَّضرّع. فكانوا يَرَوْنَ أنَّ ذلكَ من أسباب السُّقيا"(5).

إنَّ هذا الموقف ينطوي على إدراك العرب، في الجاهلية، لأهمية الماء في حياتهم ومعاشهم لذلك حاولوا معرفة القوانين الكونية التي تتيحُ لهم اكتشاف سير الرياح، والأنواء، ونجوم الاهتداء، وهطول المطر. ولهذه الأسباب كانوا دائمي التنقُّل فراراً من الجدب والجفاف(6).

وسوف تحاول الصفحات القادمة تناول بعض النصوص السردية التي تمثِّل رموز الماء في الثقافة العربية ومعرفة دورها في حياة الإنسان وسلوكه وأثرها في صياغة مفاهيمه الثقافية من أجل كشف أبعاد الماء السيميائية وحضورها في الثقافة العربية.

- **انهيار السد: الماء والبداية الأسطورية**

سوف يكون حدث انهيار سدّ مأرب حدثاً ثقافياً فاصلاً في تاريخ العرب القدامى الذين ورثوا جنة عدن وكانوا يــُقيمون في أرض اليمن السعيد. فقد حَلمت طَريفةُ الكاهنة، زوجُ ملك اليمن عمرو بن عامر مزيقيا، بأنَّ سحابة (7)ستغشى اليمن ليحرقَ برقُها ورعدُها الأشجارَ والإنسان، ويُغْرِقَ ماؤها الأرض. وعلى إثر هذا الحلم ستترحُ قبائل الأزد عن اليمن وتسير تجاه الجزيرة العربية ليتفرَّقوا في البلاد بعد أنْ كانوا إلفاً (8).

إنَّ تدفُّقَ الماء النَّاجم عن ماء السحابة، وانهيار سدِّ مأرب سببٌ كافٍ لسقوط الدولة العربية في الجنوب، ومؤشر واضح على الكارثة الــفاجعة (9)التي حلَّت بقبائل الأزد التي رحلت عن بلاد اليمن حيث الخصبُ والماء الوفير إلى أرض الجزيرة (10)حيث القفرُ والماء النــَّزْرُ. وبمعنى آخر فإنّ الماء يُجسِّدُ قيمة هلاكية مركَّبة؛ فعلاوة على القفر و نزرة الماء فإنَّ قبائلَ الأزد واجهت واقعاً مأساوياً تمثَّلَ في الشتات الذي حلَّ بها إذْ تفرَّقت بطونها في الجزيرة العربية والعراق والشام (11).

وتكاد سردية انهيار سد مأرب (12)، وما رافقه من طُوْفان أغرق اليمن وشتت أهله، تُماثل، رمزيا، سردية انهيار برج بابل وما نجم عنه من تشتيت لأهل الأرض وبلبلة للغتهم بعد أنْ كانوا يتكلَّمون "لغةً واحدة وكلاماً واحداً" (13)، فحلَّ عليهم العقاب ليكون جنس العمل مُحدداً نوع الجزاء وفقاً للقاعدة القائلة: الجزاء من جنس العمل. فعقوبة هدم برج بابل كانت نتيجة طموح الإنسان في بناء بُرج يوصله للسماء ليصل إلى مرحلة التعالي التي تمثل انتهاكاً صارخاً للإرادة الإلهية (14).

بيد أنّ هناك ائتلافاً جوهرياً بين سد مأرب وبرج بابل يتمثَّل في سبب انهيارهما، فقد كان لتدمير برج بابل سببٌ موضوعيٌّ وهو انتهاك القيم الدينية ورغبة الناس في الصعود إلى السماء التي تـــُمثِّلُ، رمزياً، الجنة بمعنى أنّ توق الناس لدخول الجنة هو الدافع وراء بناء البرج. في حين أنَّ سبأً اقترفت خطايا فادحة، إذ اتـــَّبعتْ الهوى والشيطان إضافة إلى إعراضها عـــمـــَّا أُمرتْ به فكان أنْ حلَّ عليها العذاب والعقاب بإرسال السيل في البلاد والتـــَّفرُّقِ شذرَ مذرَ (15). ورغم هذا الـــمآل المأساوي إلا أنَّ فيضان الماء شكـــَّلَ حدثاً مفصلياً كان يؤذن بميلاد بداية جديدة. لكنْ ما هي هذه البداية التي تجعل الإنسان في مواجهة ضارية مع القفار والظمأ؟.

إنَّ الإجابة عن هذا السؤال ليست بالطيِّعة الراكنة ولا بالسهلة اليسيرة؛ لأنّ رصد تفاصيل التحولات التي حصلت بعد رحيل قبائل الأزد أمر صعب ومستحيل؛ لتعقُّدها وتشابكها إضافة إلى امتدادها زماناً ومكاناً. لكنَّ النقطة التي يمكن إثارتها في هذه القضية هي مآل قبائل الأزد وأهل بابل، فبالنسبة لأهل بابل فإنّ العقاب الذي حلّ بهم هو تفرُّقهم وتبلبل لغتهم بعد أنْ كانت واحدة (16)، فتفرَّقوا، بعد تدمير البرج، مذعورين، ومقسومين لسانياً وجهوياً. فبابل لم تكن إلا مشروعاً لاستعادة أواصر السماء لكنَّ نتيجة هذا المشروع هي البلبلة والتدمير، وهي نتيجة مُشابهة لقصة آدم وحواء التي انتهت بهبوطهما إلى الأرض (17). في حين أنّ قبائل الأزد واجهت فُرقةً مؤقتة إذ سرعان ما تُوِّجت على المناطق التي دخلتها، وقد أصبحت هذه الفرقة مثلاً في مجمع أمثال العرب فقالوا: تفرَّقوا أيادي سبأ (18). هذا من ناحية الشتات أما من ناحية البلبلة التي اعترت اللسان فقد كان اللسان العربي المقسوم لهجياً هو عامل الوحدة اللسانية بين مختلف اللغات التي راحت تُدرجُ العربية في نظامها لتلاوة القرآن وفهم دلالاته (19). إنّ النتيجة التي نجمت عن انهيار سد مأرب يمكنُ فهمها ضمن سياق البداية الحضارية التي كانت فتحاً جديداً وتأهيلاً مختلفاً لميلاد الدين الجديد وهو الإسلام، هذا ما يمكن تفسيره من بشرى طريفة الكاهنة بالإسلام عندما خاطبت الأزد قائلة: " خذوا البعير فخضِّبوه بالدم، تَلُوْنَ أرض جرهم، جيران بيته المحرم، بيت بناه النبي الأكرم، خليل الولي المنعم، بيت النبي الأعظم يقتل من كفر وأجرم" (20).

♦ الماء المقدس: الولادة والانبعاث

إنَّ تدفُّقَ ماء زمزم، في مكة، يدلُّ على ميلاد عهد جديد، وحاضرة حديثة. فبعد أنْ جاء إبراهيم بِسُرِّيَّتِه* هاجر وطفلها إسماعيل راحلاً بهما من فلسطين إلى مكة كان أنْ تركهما عند موضع الحجر

الأسود ثمّ " انصرف راجعاً إلى الشام" بعد أنْ دعا ربه أنْ يحفظ مكة ويكلأها برعايته، وأنْ تهويَ أفئدة الناس إلى ذريته، وأنْ يرزقهم الله الثمرات والخير (21). وحسب المرويات التفسيرية المتناقلة في الثقافة الإسلامية فإنَّ الله أرسل جبريل؛ ليُخرج لهاجر وابنها إسماعيل الماءَ في موقع ستغدو له أهمية في حياة الناس: الدينية والمعيشية. هذا ما يُمكنُ فهمه من عبارة جبريل، عليه السلام، الذي قال لهاجر بعد أنْ بجس الماءَ:" لا تخافي على أهل هذه البلدة، فإنها عينٌ يشربُ منها ضيفان الله" (22).

وسوف يكون الماء، في السرد العربي القديم، رمزاً للإعمار والسكن؛ فهو سبب اجتماع الناس بمكة ومقامهم فيها. يقول وهب بن منبِّه: " كان بطنُ مكة ليس فيه ماءٌ، وليس لأحد فيه قرارٌ حتى أنبطَ الله تعالى الماء إسماعيلَ (عليه السلام) زمزمَ. فعمرت مكة يومئذ وسكنها من أجل الماء قبيلة من اليمن يُقالُ لهم: جُرهم ... ولولا الماء الذي أنبطه الله تعالى إسماعيل (عليه السلام) لِما أراد من عمارة بيته، لم يكن لأحدٍ بها يومئذ مقام" (23).

فالماء هو المُحفِّزُ على إقامة الناس بمكة من أجل عمارة بيت الله الذي كان خَرِباً قبل مجيء إبراهيم عليه السلام. وهنا تتضح علاقة الماء بالبناء؛ فالماء هو عامل البناء الأساسي الذي يتم به الرسوخ والاستقرار. بمعنى أنّ للماء هدفين: هدفاً قريباً؛ وهو سقاية الناس، وهدفاً بعيداً؛ وهو عمارة بيت الله. يؤكد هذه الدلالات تحليل الجملة الأخيرة الواردة في النص:

ولولا **الماء** الذي أنبطه الله تعالى إسماعيلَ لِما أراد من عمارة بيته، لم يكن لأحدٍ بها يومئذٍ مقام

إنّ دخول حرف الشرط الامتناعي (لولا) على المبتدأ جعل دلالتها مُعَلَّقة؛ إذْ إنَّ إقامة الناس بمكة لم تكن لتحدث لو لم يكن الماء موجوداً. لكنَّ عمارة البيت هي الهدف الجوهري في بنية الشرط الامتناعي، فهي المركز الدلالي الذي تقوم عليه الجملة، بيان ذلك أنَّ جملة:(لِما أراد من عمارة بيته) تقع في صلب الدلالة فهي تتمتع تأويلياً بوظيفة نحوية هي: المفعول لأجله. أي أنّ الله قيض الماء لإسماعيل ليكون عاملاً جاذباً وعنصراً مُحفِّزاً لإقامة الناس وسكناهم استعداداً لعمارة بيته الحرام. يؤكد ذلك بنية الضمير المتصل (ـــه) الوارد في التركيبين: (أنبطه)، و (بيته)، فقد ورد الضمير مُتعاقباً ودالاً على العلاقة الترابطية بين الماء والله. لكنّ الملحظ الدلالي الذي يمكن الإشارة إليه هو أنَّ الضمير المتصل قد ورد في المرة الأولى في موقع المفعولية (أنبطه) في حين أنَّه ورد في الثانية في موقع الإضافة، ولهذا التوزيع دلالة مهمة تتضح بإحكام الترابط بين العناصر اللسانية، بمعنى أنّ الماء (الذي نُبطَ لإسماعيل) سيصبح ماءً له أي أنَّ ماء زمزم صار مُلكاً لإسماعيل فهو (ماء إسماعيل)، في حين أنَّ بنية الإضافة تدل

بشكل واضح على علاقة الملكية بين الله والبيت الحرام. وبعبارة ثانية فإنّ ماءَ إسماعيل هو الأداة الفاعلة في مشروع عمارة بيت الله الحرام.

§ **بئر زمزم: النضوب و الانبجاس**

سوف يستأثر حفر عبد المطلب بئرَ زمزم بأهمية بالغة، إذ سيغدو عاملاً مهماً في سيادة قريش ينضاف لرصيدها الديني، والاجتماعي، والاقتصادي، واللغوي. وبهذا المعنى سيصبح حفر زمزم حدثاً تدشينياً يعلن عن قيام منظومة جديدة. ويصل خبر حفر البئر بسند يمتدُّ إلى الإمام علي الذي قال:

" قال عبد المطلب بن هاشم: بينما أنا نائم في الحِجْر إذْ أتاني آتٍ فقال لي: احفر طيبة، قلت: وما طيبة؟ فذهب عني و لم يجبني، فلما كانت الليلة الثانية جاءني فقال: احفر درة، فقلت: وما درة؟ فذهب عني و لم يجبني. فلمّا كانت الليلة الثالثة أتاني فقال: احفر المضنونة، فقلت وما المضنونة؟ فذهب عني؛ فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعي فنمت، فجاءني فقال: احفر زمزم، فقلت: وما زمزم؟ وكانت قد درست وغار ماؤها لما مضت أيام إسماعيل عليه السلام، قال: بئر يسقي الحجيج منه عند منحر قريش عند نقرة الغراب وقرية النمل؛ فلمَّا تبيَّن له قام فدلّ على موضعه وعرف أنه قد صدق، فغدا بمعوله ومعه الحارث ابنه وليس له ولد يومئذ غيره" (24).

يتضمَّنُ هذا الخبر عدة دلالات أهمها:

- أنَّ بئر زمزم كان قد درس بعد عهد النبي إسماعيل.
- أنّ عبد المطلب الذي لم يكن قد أصبح جدَّاً للنبي محمد هو الذي حفر بئر زمزم بعد أنْ درس.
- أنَّ آتياً قد أبلغ عبد المطلب بحفر بئر زمزم.
- أنّ الآتي قد ألح في طلبه القاضي بحفر بئر زمزم.
- أنَّ أسماء بئر زمزم لم يكن عبد المطلب يعيها، وهذا يعني أنَّ الناس لم يكونوا يعرفونها.
- أنّ دلالات أسماء زمزم تدل على: الماء الطيب، والجوهرة النفيسة والثمينة التي يضنُّ بها المرء على الآخرين.
- أنَّ عبد المطلب بُشِّرَ بالبئر، وسقاية الحجيج وهما مترلتان رفيعتان.
- أنَّ عبد المطلب سينال السيادة على قريش التي لن توافق على استئثار عبد المطلب بالبئر والسقاية.

فالماء عامل من عوامل السلطة يتيح للقائمين عليه فرض تعاليمهم، خاصة إذا كان الماء يتمتع بدلالات دينية؛ إذ يصبح عنصراً مُزدوجاً؛ فهو رمز الدين، والنفوذ، والصراع. وهذا ما جرى مع قريش التي كانت تعيش صراعاً داخلياً على هذه المفاهيم وبيان ذلك ما يرد في هذه الحكاية:

٧ نص الحكاية:

" فلمَّا علمت قريشٌ به قاموا إليه فقالوا: يا عبد المطلب إنها من آثار أبينا إسماعيل وإنَّ لنا فيها حقًّا فأشركنا فيها، فقال: ما أنا بفاعل، إنّ هذا شيءٌ خُصصتُ به دونكم وأُعطيته من بينكم؛ قالوا له: فأنصفنا فإنّا غير تاركيك حتى نخاصمك(الوحدة السردية الأولى)، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أخاصمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد بن هذيل، قال: نعم، وكانت في أطراف الشام، فركب عبد المطلب ومعه نفرٌ من بني عبد مناف، فركب من كلِّ قبيلة من قريش نفرٌ، قال: والأرض إذ ذاك مفاوز، فخرجوا(الوحدة السردية الثانية) حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز نَفِدَ ما كان معهم من الماء حتى أيقنوا بالهَلَكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا: إنَّا بمفازة وإناً نخشى على أنفسنا أنْ يُصيبنا مثل ما أصابكم(الوحدة السردية الثالثة). فلمّا رأى عبد المطلب ما صنع القوم قال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: رأينا تَبَعٌ لرأيك، فأمرنا بما شئت، قال: فإني أرى أنْ يحفر كلُّ رجلٍ منكم لنفسه حفرة بما يجد من القوة، فكلُّ من مات منَّا دون صاحبه دفنه في حفرته. قال: فحفروا وجلسوا ينتظرون الموت(الوحدة السردية الرابعة)، ثم قال عبد المطلب: وما لنا لا نضرب في الأرض، فعسى الله تعالى أنْ يرزقنا ماءً، فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون؟(الوحدة **السردية الخامسة**) وتقدَّم عبد المطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعثت به انفجرت من تحت حوافر دابة عبد المطلب عين ماءٍ عذبٍ، فكبَّر عبد المطلب وكبَّرَ أصحابه، ثمّ نزل فشرب منه وشرب أصحابه حتى رَوُوا وملؤوا أسقيتـــَهم، ثمّ دعا القبائل من قريش فقال: هلمُّوا إلى الماء فقد سقانا الله تعالى وإياكم فشربوا وسقوا(الوحدة السردية السادسة). ثم قالوا: قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إنّ الذي سقاك هذا الماء في هذه الفلاة فهو ساقيك زمزم فارجع، فرجع ورجعوا معه حتى وافوا مكة وخلُّوا بينه وبين زمزم" (25).(الوحدة السردية السابعة)

♦ تحليل الحكاية

تتضمَّن هذه الحكاية بنية سردية متكاملة، فهي تتوافر على سارد،وشخصيات، وزمـــان، ومكان، وأحداثوصراع، وتوتر، وتصاعد أحداث، وحَلٍّ . ومن أجل تحليل هذه الحكاية فإنه لا بدَّ من التماس آلية منهجية تقوم على المبادىء البنيوية،التي تنطلق مما هو ثابت وجوهري في الحكاية ولا بد من التمييز بين مستويين مهمين؛ الأول : مستوىالقصة الذي يرتبط بالقصة كما جـــرت في الواقـــ ع.

والثاني: مستوى السرد الذي يتعلّق بطريقة تقديم القصة من خلال إدراجها في سياق حكائي يقوم على إضافة عناصر سردية متنوعة تمنح القصة إيقاعاً سردياً مُفارقاً لأحداثها الواقعية.

إنَّ تحليل السرد بنيوياً يعني الانحياز لعلاقاتالسرد النحوية والدلالية (26)لذلك فقد تم تقسيم الحكاية إلى سبع وحدات سردية، لتكونَ منطلقاً في التحليل الذي سيعتمد على النحو السردي الذي يحكم توزيع البنية السردية من خلال تحديد التراكيب الرئيسية، وعناصر السرد الكبرى، إضافة إلى الوظائف السردية التي تمثّل محور الدلالات (27). إنَّ الوحدة السردية (28)هي التي تتضمَّن عنصراً سردياً يتمتع بثراء دلالي لا يُمكنُ حذفه والاستغناء عنه (29).

♦ **الوحدة السردية الأولى: الصراع على البئر**

وهي الوحدة المركزية التي تتأسس عليها الحكاية، ومؤداها: مطالبة قريش عبدَ المطلب بإشراكهم في البئر استناداً إلى حقهمفي وراثة آثار إسماعيل. فإسماعيل، من وجهة نظر قريش، يمثل أباً لقريش التي تولّتالقيام على البيت الحرام ورعايته. بيد أنَّ عبد المطلب يرفض طلب قريش؛ صادعًلن خصوصية فعل الحفر واكتشاف الماء. وإزاء موقف عبد المطلب الرافض فإنَّ قريشاً تُصرُّ على موقفها وحقها في البئر انطلاقاً من مبدأ الوراثة الإسماعيلية.

♦ **الوحدة السردية الثانية: الاحتكام للكاهنة**

قبول طرفي النزاع: قريشٍ وعبد المطلب الاختصام لكاهنة بني سعد بن هذيل، لتنظر في خصومتهم في قضية الشراكة في بئر زمزم. وبناءً على موافقة الأطراف المتنازعة ستخرج مجموعة من قريش تمثل قبائلها متّجهة إلى أطراف الشام حيث كاهنة بني سعد.

♦ **الوحدة السردية الثالثة: المفازة ونفاد الماء**

وهي تتضمن خروج ممثلي قبائل قريش وسيرهم في المفاوز، ونفاد ماء إحدى قبائل قريش وصولاً إلى التيقّن من الهلاك، ورفضقبائل قريش سقايتهم متذرعين بالخشية من الهلاك لأنّ الماء لا يكاد يكفيهم.

♦ **الوحدة السردية الرابعة: اليأس وانتظار الموت**

اقتراح عبد المطلب على أصحابه، أنْ يحفر كل منهم حفرة حتّى إذا ما مات واحد منهم دُفن في الحفرة.

♦ **الوحدة السردية الخامسة: الأمل وحفر البئر**

تعديل عبد المطلب اقتراحه بحفر بئرواستخراج الماء. رحيل قبائل قريش وهم ينظرون لعبد المطلب وأصحابه.

♦ **الوحدة السردية السادسة: انفراج العقدة**

ركوب عبد المطلب راحلته، وتفجُّرِ الماء العذب من تحت حوافر الدابة . وتكبير عبد المطلب وأصحابه من عبد مناف وشربهم وملؤهم أسقيتهم ثمَّ دعوتهم قبائل قريش للشرب وملء الأسقية.

♦ **الوحدة السردية السابعة: التراجع والإقرار**

تراجع قبائل قريش عن خصومتها عبدالمطلب في بئر زمزم . وإقرارها بحق عبد المطلب بالتفرُّد ببئر زمزم.

تقوم الحكاية على لسان سارد يتكلَّم باقتدار، بمعنى أنَّ طريقة تقديم السرد قياسية؛ لأنها تتضمّن وظائف وحقائق تكاد تكون متطابقة مع طرائق تعبير الشخصيات(30). فالسارد معنيٌّ بتقديم الحكاية بمجرياتها الحقيقية دون التَّدخّل الكبير في أحداث القصة الرئيسية ، لكنَّه يُعلِّق في بعض المواطن البسيطة، حيث يبدو تعليقه كلاماً مُعترضاً، ومن أمثلة ذلك عبارة: " قال" والأرض إذْ ذاك مفاوز"، وهي عبارة إيضاحية وصفية. إنَّ آلية السرد التي ينتهجها السارد، على هذا النحو، تجعل المواجهة بين القارىء والخطاب مواجهة مُباشِرةً، إذْ لا وجود لعقبات سردية تُعرقل تداول الخطاب.

§ **جدلية الظمأ والارتواء: الحكاية والتأويل**

تكشف هذه الحكاية عن صراع قريش على الماء ، ورفض قبائلها استئثار بني عبد مناف بحفر بئر زمزم وحيازته. لذلك راحت تطالب بحقها في البئر مُستندةً إلى المسوغ التاريخي المرتبط بوراثة النبي إسماعيل. فالحكاية تبدأ بالصراع (31)الذي تخوض قبائل قريش غماره؛ إثباتاً لحقِّها في البئر بوصفه رمزاً دينياً يجسِّد انتماء القبائل للإرث الإسماعيلي، ورمزاً سلطوياً يتعلَّق بمنزلة القبائل الاجتماعية، والاقتصادية. فقد كانت قبائل قريش، قبل حفر بئر زمزم، تتنافس على الآبار والمياه؛ لما تتيحه هذه المعاني من حُظوظ تمنح القبائل حضوراً في الزمان، والمكان، والثقافة. يؤيد ذلك ما ورد في بعض نصوص السرد العربي القديم، يقول الأزرقي:

" فلمّا انتشرت قريشٌ وكَثُرَ ساكنُ مكة قلَّت عليهم المياه واشتدت عليهم المؤنة، وعطش الناس بمكة أشد العطش، فكان أول من حفر عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قصي فحفر الطوى وهي التي بأعلى مكة عند البيضاء ... وحفر هاشم بن عبد مناف بذرâ وهي البئر التي عند المُستنذر ... وقال حين حفرها: لأجعلنَّها بلاغاً للناس، وحفر هاشم سَجْلَةً وهي بئر مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف التي يُسقى عليها اليوم ..."(32).

فقبائل قريش كانت تتحفظ على سيادة بني عبد مناف وتفرُّدها بالسلطة، فكانت كل قبيلة تسعى إلى منازعة قريشٍ في السيادة، والنفوذ. بمعنى أنَّ الأمر يرتبط بممارسة السلطة التي كانت دائرة في قريش

وقبائلها وأحلافها؛ إذْ كانت قريش تحاول فرض السيطرة على القبائل كلِّها الأمر الذي كان يُثيرُ حفيظة القبائل وتأليبها على بني عبد مناف. لقد كانت القبائل الـــمُنضوية تحت لواء قريش تستشعر إحساساً بالتبعية والرضوخ لبني عبد مناف الذين كانوا يجابهون احتجاجَ القبائل بتعزيز مراكز نفوذهم وسلطتهم.

فكلُّ فعل حميد كان يقوم به بنو عبد مناف يستدعي كيد قبائل قريش و ضغينتها، يقول محمد بن جبير:

" فلمَّا حفرت بنو عبد مناف آبارها سقوا الناس واستقوا الناس عليها فشقَّ ذلك على قبائل قريش ورأوا أنهم لا ذكر لهم في تلك الآبار، حفرت قريشٌ آباراً يتبارون بها في الري والعذوبة حتى كاد يكون في ذلك شرٌّ طويل، فمشت في ذلك كبراء قريش فأقصرَ الشرُّ، وحفرت بنو أسد بن عبد العزّى شـــفَـــيَّةَ (33)بئرَ بني أسد بن عبد العزى" (34).

فحفر الآبار يُتيح للقبائل حضوراً وذكراً باقياً بقاءَ الماء، وبقاءَ ورودها؛ فالبئر تُخلِّد ذكر حافريها. لذلك قامت قبائل قريش بمطالبة عبد المطلب بإشراكها في حفر البئر؛ لأنَّها تتمتع بذاكرة أسطورية عظيمة؛ فهي تدلُّ على النّماء، والري، والأمن، والسقاية. وبعبارة أخرى، فإنَّ الشراكة في بئر زمزم تمكِّنُ القبائل من إنتاج المفاهيم المختلفة التي ترتبط بجميع نواحي الحياة، إضافة إلى تمكينها من تداول السلطة حيث تصبح ذات قدرة على إنتاج خطابها.

وتكشف سردية حفر بئر زمزم عن المفاهيم الاعتقادية والقناعات التي كانت رائجة في صراعات قريش، فقبائل قريش وافقت على الاحتكام لكاهنة بني سعد اتقاءً لتفاقم الشر، ورغبة في تطويق الأزمة الناشبة ومعرفةِ حقها في شراكة البئر، كما أنّ موافقة الأطراف كلها على الاحتكام لكاهنة بني سعد يبرز أثر الكهانة في الثقافة العربية القديمة، وكاهنة بني سعد تحديداً، بمعنى أنَّ قبول تحكيم كاهنة بني سعد قد نال موافقة الجميع، ويتجلَّى هذا التصوُّر في الوحدة السردية الثانية الموسومة بـــ " الاحتكام للكاهنة ".

وتجنباً للخصومة، واتقاءً للشر الذي قد يعصف بقبائل قريش، إذا لم تُطوِّقْ الخصومة، ستسير وفود القبائل نحو أطراف الشام للقاء كاهنة بني سعد التي ستنزع فتيل الصراع وتعيد الحق لأصحابه. لكنّ

موافقة الأطراف على الاحتكام لكاهنة بني سعد يعني إقرارهم الـــمُسبَّق بحكمها الذي يتضمَّن ثلاثة احتمالات:

- أنْ تُقرَّ كاهنة بني سعد بحقِّ قبائل قريش كلها في ماء زمزم، اعتماداً على وراثة إسماعيل.
- أنْ تُقرَّ كاهنة بني سعد بحقِّ بني عبد مناف وحدها دون سائر القبائل ببئر زمزم وحيازته.
- أنْ ترفض كاهنة بني سعد خصومة قريش، وتقررَ أنَّ بئر زمزم مُلكٌ لجميع الناس.

ويترتب على إقرار الكاهنة بحق قبائل قريشٍ كلها بماء زمزم غضب بني عبد مناف، واحتجاجهم على ظلم القرار وجوره، فينجم عن ذلك تراجع منزلتهم وكسرُ شوكتهم؛ لأنّ مشاركة القبائل لها في البئر سيُذهب تفرَّدهم في الفضل. أمَّا لو أنها أقرَّت بحق بني عبد مَنَاف ببئر زمزم فإنّ الحكم سيُعلي من شأنهم، ويضعف خصومهم بمعنى أنَّ الحكمَ ينفي ادعاء القبائل وحقها في وراثة إسماعيل؛ لأنّ الحكم يقدِّم هذه النتيجة ضمنياً.

إنَّ الحكاية لا تجهرُ بهذه الدلالات في حين أنَّ الخطاب يشي بها مرة ويهمس بها مرة أخرى، فالعلاقة الدلالية المبثوثة في أول الحكاية تتضمن وثوق قبائل قريش بحقها في بئر زمزم استناداً لحقها في وراثة إسماعيل. وبمعنى آخر، فإنَّ قبائل قريش لا تحتجُّ على تفرُّدِ بني عبد مناف في بئر زمزم وسقاية القبائل، وإنما هي تناهض مبدأ الوصاية والاستبعاد الذي تحاول قبيلة بني عبد مناف فرضه وإقراره. فسكوت قبائل قريش على تفرِّد بني عبد مناف يعني قبولها مبدأ الهيمنة الذي يتَّخذ بئر زمزم وسيلة في الإقصاء؛ وفي النهاية فإنَّ قبولها بوصاية بني عبد مَنَاف يعني خروجها من دائرة التمثيل الاجتماعي والثقافي ومن ثمَّ فإنها ستفقد حقَّها في إنتاج السلطة والمساهمة فيها. أما لو جاء قرار كاهنة بني سعد مُخالفاً توقّعات قبائل قريش بما فيها بنو عبد مناف، كأنْ تـــُقررَ أنَّ بئر زمزم وماءه مشاع وملك للناس كلِّهم، فإنَّ ذلك سيستدعي رفض الحكم، والتفاف قريش حول حقِّها في حيازة زمزم؛ لأنهم جيران الله وبيته.

إنَّ الوحدة السردية الثالثة تعرض ثيمة التعقيد التي تصوِّرُ تصاعد الأحداث وتوترها (35)؛ إذ ستُواجه قبائل قريش المفاوز ونفاد الماء معاً، ليس ذلك فحسب بل إنَّ خيوط السرد تجعل قريشاً في مواجهة معلنة مع مفاهيمها الثقافية، فنفاد الماء كان كفيلاً لاختبار المفاهيم والمواقف الحقيقية، فقد رفضت قبائل قريش تقديم الماء للقبيلة التي نفد ماؤها متذرِّعةً بأنها ستواجه المصير نفسه عبر حوار درامي يعرض، دون وساطة السرد، مواقف الشخصيات الفكرية (36). وإذا ما تمت الاستعانة باستعارات الجاحظ السردية فإنه يمكن الإشارة إلى القبائل التي ترفض تقديم السقاية عند الضرورة(37)؛ فإذا كان السفر مجالاً لاختبار المفاهيم الإنسانية فإنَّ إنقاذ المسافرين هو أرقى أشكال التّفاني(38)، بمعنى

أنَّ قريشاً واجهت، في رحلتها للشام، سقوطاً قيميًّاً فادحاً. هذا من ناحية سقوط القيم وأما من ناحية الموقف الثقافي فإنَّ نفاد ماء قبائل قريش وتعرُّضها للهلاك يكشف عن اقتناعها وقبولها فكرة الموت مقابل عدم فقدان امتيازاتها وسلطتها؛ إذْ إنها قبلت مواجهة الموت دفاعاً عن حقها في بئر زمزم؛ فمواجهة الموت أهون من قبول فكرة الاستبعاد والتفريط بالحق. كما أنَّ هذه الوحدة تتضمَّن ثغرة سردية مهمة يمكن أنْ تُصاغ على هيأة سؤال مفاده: كيف نَفِدَ ماء إحدى قبائل قريش علماً أنها على علم بطبيعة الرحلة ومدتها؟ ألم يكن عليها أنْ تَتحوَّطَ وتأخذ من الماء ما يربو على حاجتها وفائضاً عن رحلتها؟

إنَّ هذين السؤالين يدفعان التحليل إلى أقصى حدوده، لأنَّه لا يمكن التَّستُّر على غموض هذه الوحدة وبخاصة أنَّ قريشاً كانت تألف السفر الطويل، والتَّرحال، والتجارة. وإزاء هذا الغموض لا يمكن توكيد أي دلالة، لكنَّ الشيء الذي يُمكن الوثوق به أنَّ نفاد الماء هو مجرَّد وظيفة سردية تهدف إلى الكشف عن ردود أفعال قبائل قريش الأخرى،وإظهار بني عبد مَناف عامة وعبد المطلب خاصة بمظهر الحكماء؛ لأنَّ الماء لو لم ينفد لتابعت القبائل رحلتها إلى الشام لتحتكم إلى كاهنة بني سعد.

وسوف يؤدي المسار السردي (39)إلى تسارع التعقيد وصولاً إلى العقدة السردية التي تُبرزُ تتابع الصراع وتفاقم التعقيد (40)، المتمثِّلة في اليأس من النجاة، والتيقُّن من الهلاك. ونتيجة هذا المآل سوف تنتظر القبائل الموت، ويصبح بحثها عن النجاة هلاكاً وهي استعارة على قدرٍ من الجلاء (41)، بمعنى أنَّ قبائل قريش التي قررت السفر لتحتكمَ لكاهنة بني سعد قد مُنيت بصراع مسَّ وجودها؛ فقد كان السفر يحمل أسباب فنائها، مما يعني أنَّها كانت تقبل بمواجهة الموت على ألا تخسر امتيازاتها، وسلطتها. فالمستوى الدلالي يكشف عن أنَّ رحلة قريش التي استهدفت حلَّ الأزمة وإنهاء الصراع كانت تستبطنُ تحوُّلاً في الصراع؛ أي أنَّ شكل الصراع قد تبدَّلت آلياته، فالموت سيُداهم قبائل قريش كلها، فأينما تولِّ وجوهها فثمَّ وجهُ الموت.

وفي مواجهة الموت سيقترح سيد بني عبد مَنَاف على قبيلته أنْ يحفرَ كلُّ فرد منهم قبراً يدفن فيه صاحبه بعد أنْ يُداهمه الموت. إنَّ الصورة التشكيلية التي تعرضها الوحدة الرابعة الموسومة بـــ " اليأس وانتظار الموت" تُظهر صورة قبائل قريش وهي تحفر قبورها بأيديها، وهي استعارة تقصد بنية الحكاية السردية إلى إثباتها وتسجيلها. فالموت هو نتيجة الخصام الوحيدة .

لكنَّ بنية الحكاية السردية لا تكتفي بهذه الدلالات القريبة بل تتجاوزها لتنفتح على دلالات عميقة، فحفر القبور لا يدلُّ على الموت فحسب بل إنَّه يقترن، بحفر بئر زمزم، اقتراناً تاماً ، ومن أجل توضيح هذا التصوُّر يمكن الاستعانة ببعض المفاهيم الإيضاحية:

- **القاعدة التحويلية:** وهي قاعدة لسانية تتوافر عليها البنية، وهي تتيح تغييرات معينة قد تكون محكومةً بالبنية الرئيسية (42).

إنَّ حفر بئر زمزم يُمثِّلُ بؤرة السرد التي تقوم عليها بنية الحكاية السردية (43)، فهي المحور الذي تدور حوله الدلالات والوظائف، لكنّ هذه البؤرة ليست ثابتة، فهي تمتدُّ في الحكاية وتتخذ شكلاً مُختلفاً يتحقق من خلال حفر القبور الذي يُبين مآل القبائل التي آثرت الخصام والسفر. فحفر القبور هو نتيجة النزاع الموضوعية، واستحقاق السيادة والسلطة.

- **التتميمات السردية:** هي آلية سردية تقوم على استثمار علاقات البنية الدلالية، فالبنية السردية ليست معطىً جاهزاً، فهي تنطوي على تضمينات، ولواحق لسانية (44). وبناء على ذلك فإنه يمكن مخضُ دلالة الموت اعتماداً على دلالة الحياة.

وسوف تؤسس الوحدة السردية الخامسة الموسومة بـــ" الأمل وانتظار الموت" العقدة الـــمُضادة ، من خلال "...الأحداث التي تؤدي إلى نتيجة مناقضة لنتيجة الأحداث التي تؤدي إليها العقدة الرئيسية، أي أنَّ أحداث البطل وأهدافه هنا تعتبر عقدة مناقضة" (45).

إنَّ عبد المطلب يظهر في هذه الحكاية بوصفه شخصية خارقة (46)؛ فهو الذي يوجّه أحداثيات السرد، إذ يقوم بتوجيه أوامره لأتباعه من بني عبد مناف بتعديل فكرة القبور إلى الضرب في الأرض والانتشار فيها بحثاً عن الماء، أي أنَّ عبد المطلب قادر على قلب فكرة الهلاك واستبدالها فكرة النجاة بها. وفي المستوى الدلالي العميق فإنَّ هذه القدرة تتضمَّن إحساساً سلطوياً عميقاً؛ إذ يُحيل هذا المستوى على ثنائية الهلاك والنجاة اللتين يستطيع عبد المطلب فرضهما. وبعبارة أخرى، فإنَّ بنية السرد الدلالية تكشف عن إمكانية عبد المطلب القيام بإهلاك قبائل قريش التي تُعارض سلطته.

وسوف ينبجس الماء من تحت حوافر راحلة عبد المطلب، ليصبح نموذج الرجل المؤمن المعتمد على الله في الشدائد. إنَّ حلَّ العقدة وانفراجها (47) لا يتضمَّنُ إنقاذ قبائل قريش من الهلاك فحسب، بل إنها

تكشف عن معاني التسامح والعفو التي يُغدقها الأبطال على أعدائهم. فأنْ يمنح المرء خصومه فرصة النجاة لا يدلُّ على سموه فحسب، وإنما يُبرز رغبته في كسبهم إلى صفوفه، وتحويلهم إلى أتباع وأنصار. وإضافة إلى ذلك، فإنَّ انبجاس الماء من تحت حوافر دابة عبد المطَّلب سيمنح عبد المطلب سلطة غيبية لا يُمكن تفسيرها من خلال مفاهيم قريش الأمر الذي سيضمن لعبد المطلب توطيد سلطته الدينية، فعندما يَعجزُ الوعي عن تفسير قضية ما فإنه سرعان ما يمتثلُ لها لِتُصبح فكرةً مُتعالية على الوعي نفسه.

إنّ المفاوز بوصفها، علامة سيميائية، هي مجال اختبار الحقيقة التي عاندتها قبائل قريش التي سيكون عليها مكابدة الموت وانتظاره، لذلك كان عليها أنْ تُقرَّ بحقِّ عبد المطلب في التفرُّد ببئر زمزم والقيام عليه بعد أنْ شاهدت بعيونها حفر القبور وانبجاس الماء. فالمعجزة هي القادرة على إجبار قبائل قريش على التراجع عن مطالبتها بالشراكة في بئر زمزم.(48)

هوامش

1- وقد ورد كثير من الأخبارٌ التي تؤيدُ هذا التصور في كتب الأدب العربي القديمة.

2- انظر: خليل أبو جهجه، **الماء بين الأدب والحياة**، مجلة الفكر العربي: مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، تصدر عن معهد الإنماء العربي، ع82، بيروت، 1995، ص115.

3- أحمد الطبَّال، **الماء في رمزيته الأسطورية والدينية**، مجلة الفكر العربي المعاصر، تصدر عن مركز الإنماء القومي، ع 25، بيروت، 1983، ص 142, 144.

4- انظر: ثناء أنس الوجود، **رمز الماء في الأدب الجاهلي**، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهـــرة، 2000م، ص80-84.

* والسَّلَعُ: شجرٌ مرٌّ كانت العرب تأخذ حطبه، في جاهليتها، ويعلِّقونه في أذناب البقر ثم يُضرمون النار فيه وهم يُصعّدونها في الجبال فَيُمْطَرُون. والعُشَرُ: شجرٌ له صمغٌ وفيه حـــرَّاقٌ مثل القطن يـــُقتدح به.

5- الجاحظ، **الحيـــوان**، ج4، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ص466.

6- نفسه، ج6 ، ص30.

7- هناك رواية تقول: إنَّ طريفة الكاهنة حلمت بالسيل العَرِم الذي يُخرِّب الجنتين. انظر: الأزرقي،**أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج1، ص65.

8- وردت حكاية طريفة الكاهنة في كثير من كتب الأدب والتفسير القديمة: الأزرقي، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج1، ص65-69.

9- انظر: أحمد الطبَّال، **الماء في رمزيته الأسطورية والدينية**، ص143.

10- استقرَّت قبائل الأزد، بادىء الأمر في مكة بعد حربها مع جرهم وظفرها بمكة، ثمّ تفرَّقت إلى المناطق المجاورة بعد أنْ أصابها مرض خطير.

11- انظر: محمد عجينة، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، ج2، ص143.

12- لا بدَّ من الإشارة إلى النص المهم الذي كتبه المبدع العربي محمود المسعدي وهو السدّ. انظر: محمود المسعدي،**الســـد**، تقديم: توفيق بكار، دار الجنوب، تونس، 1992.

13- انظر: **الكتاب المقدَّس**، العهد القديم: سفر التكوين.

14- إنَّ ربط الكوارث بالإرادة الإلهية ينمُّ على إقرار الإنسان بالخطايا والآثام. لكنْ ماذا لو كان فعل الانتقام صادراً عن الإنسان ظنَّاً أنّ انتقامه يمثل إرادة الله. انظر: جاك دريدا، **ما الذي حدث في "حدث" 11 سبتمـــبر؟**، ترجمة: صفـــاء فتحي،2003، ص 51،56،112،118.

15- لقد أفردَ النصُّ القرآنيُّ سورة خاصة تناولت هذه السرديـــّة هي سورة "سبأ". انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، د.ت.ط، ص 230 ــ 235.

16- يرى ميشيل فوكو أنَّ لغة بابل هي اللغة الأم التي كان يتكلّمها جميع الناس، وأقدم اللغات". الكلمات والأشياء، ترجمة: مطاع الصفدي وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990، ص93.

17- تنبغي الإشارة، بهذا الصدد، إلى محاضرات عبد الفتاح كيليطو التي ألقاها في الكوليج دي فرانس بباريس، وهي مُقاربات تتناول أصل اللغة وما يتأسسُ عليها من دلالات ثقافية. انظر: **لسان آدم**، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، ط2،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2001،ص 9- 44.

18- انظر: الأزرقي، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج1، ص67.

19- الرأي لأبي بكر الزبيدي الأندلسي صاحب طبقات النحويين واللغويين.انظر: **لسان آدم**، ص 24.

20- انظر: الأزرقي، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج1، ص65. وانظر: محمد عجينة، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، ج2، 152.

* السُّرِّيَّة:الجارية التي يتسرَّى بها الرجل ويختارها طلباً للسرور. **لسان العرب**، مادة: (سرا).

21- الإشارة إلى الآيات: 35، 36، 37 من سورة إبراهيم.

22- الثعلبي، **قصص الأنبياء المُسمَّى بالعرائس**، ص 84. و الفاكهي: **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، م1، ج2، ص5.

* النَّبطُ: الماء الذي يخرج من البئر أوَّل ما تُحفر. ونبطَ الماء: نبع. لسان العرب، مادة: (نبط).

23- الفاكهي: **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، م1، ج2، ص9.

24- الثعلبي، **قصص الأنبياء الـــمُسمّى بالعرائس**، ص86. 25- نفسه، ص86.

26- انظر: جيرالد برنس، **المصطلح السردي**، ترجمة: عابد خازندار، مراجعة وتقديم: محمد بريري،ط1، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة)،القـــاهرة، 2003، ص223.

27- انظر: **المصطلح السردي**، ص 151.

28- انظر: **نفسه**، ص160.

29- انظر: رولان بارت، **التحليل البنيوي للسرد**، ترجمة: حسن بحراوي وآخرون، مجلة آفاق:مجلة دورية يُصدرُها اتحاد كتَّاب المغرب، ع8، الرباط، 1988، ص11.

30- جيرالد برنس، **المصطلح السردي**، ص246.

31- جيرالد برنس، **نفسه**، ص 50.

ã بَذَرُ: موضعٌ، وقيل: ماءٌ معروف. لسان العرب، مادة: (بذر).

32- الأزرقي، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج2، 212.

33-انظر: **لسان العرب**، مادة: (شفي).

34- الأزرقي، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار** ، ج2، ص213.

35-جيرالد برنس، **المصطلح السردي**، ص 49.

36- نفسه، ص69.

37- كان الجاحظ يستعين بالحيوانات ويتخذ منها قناعاً سردياً ؛ إذ تحدّث عن الكلاب التي تنبح ليلاً ليهتدي مسافرو الليل للقبيلة للحصول على القِرى والضيافة، في حين أنَّه يُشير في بنية السرد الـــمُضمرة إلى القبائل الـــمُتكالبة. انظر: عبد الفتاح كيليطو، **الكتابة والتناسخ: مفهوم المؤلف في الثقافة العربية**، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، ط1، المركز الثقافي العربي ودار التنوير للطباعة والنشر، الدار البيضاء – بيروت، 1985، 114- 123.

38- لهذه الدلالة سند أصيل في الثقافة العربية، فقد سُمي السفر سفراً؛ لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال ويكشـــــف عن طويتهم. انظر: **لســـان العرب**، مادة: (سفر).

39- جيرالد برنس، **المصطلح السردي**، ص 155. 40 - نفسه، ص175.

41- لقد سجَّلَ الشعر العربي هذه الاستعارة عندما قالت أم السُّليك بن السَّلكة:

طاف يبغي نجوةً من هلاكٍ فهلك

ليت شعري ضلة أيُّ شيءٍ قتـــــلك

42- جيرالد برنس، **المصطلح السردي**، ص 237. 43 - نفسه، ص89.

44- انظر: أ.ج. غريماس، **البنية الدلالية**، ترجمة: فريق مركز الإنماء القومي، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت- باريس، ع18-19، ص101. 45 - جيرالد برنس، **المصطلح السردي**، ص54.

46- نفسه ، ص30. 47 - نفسه، ص57.

48- لقد كان بنو عبد مناف الممثـّلون بعبد المطلب وأولاده يسعون إلى احتكار المفاهيم وحيازتها. وهناك العديد من الحكايات التي تؤيد ذلك، لعلَّ أشهرها حديث غزال الكعبة الذي اقترح أبو لهب على ندمائه أنْ يبيعوه ليُتموا شرهم ولهوهم وقد حصل ذلك بعد أنْ كسره أبو لهب أربع قطع. ومعلومٌ أنَّ هذا الغزال كان قد أهدي إلى الكعبة في سالف العصور، وأنَّ عبد المطلب قد استخرجه بعد حفر زمزم. وقد نجم عن عملية بيع الغزال مشكلة كبيرة كادت تأتي على قريش وحلفائها. انظر: محمد بن حبيب البغدادي، **كتاب الـــمُنمَّق في أخبار قُريش**، ص59 - 70.